

محمود الضميري

فلسطين - نابلس

١٩٦٢م

سيرته الذاتية بقلمه :

اسم الشاعر: محمود أحمد عوض الضميدي

لقب الشاعر (ملك القوافي) وهو اسم مستخدم عرف به على

الشبكة العنكبوتية

تاريخ الميلاد ١٢/٦ / ١٩٦٢ م

الجنسية: فلسطيني / نابلس / بلدة حوارة.

الدراسة: بكالوريوس اقتصاد ودبلوم عالي في التخصص نفسه.

الجامعة: اليرموك / الأردن / إربد.

العمل: مدير تنفيذي في القطاع المصرفي.

البدايات الشعرية: ١٩٧٨ مرحلة الدراسة الثانوية.

ينشر شعره عبر العنكبوتية. في (رابطة الشعراء العرب).

حاصل على وسام الإبداع من رابطة الشعراء العرب بتاريخ

٢٠١٣ / ١١ / ١١

مختارات من شعره

الشعر

عروسُ الشعرِ قد أضنت فتاها
رمته بطرفها سهماً فتاها

وصار أسيرها طوعاً وحباً
وما زال المتيم في هواها

تطوقه الحسان بكل فج
وقد عاف العذاري واصطفها

حواها نبضه لحناً شجياً
عساها أن ترق له عساها

سلاها إن سلته أسي سلاها؟
وتسلوه الحياة وما سلاها!

حباها ربها من كل حسن
وأبدع خلقها عمّن سواها

تراها في الخليج كرمح زانٍ

وَمِنْ نَوْرِ الْحِجَازِ تَرَى سَنَاها

وَيَمْنَاهَا بِأَرْضِ الْقُدْسِ أُسْرَتْ

وَفِي عَمَّانَ يُسْرَاهَا تَرَاهَا

وَمِنْ لُبْنَانَ قَدْ حَصَدَتْ دَلالًا

وَمِنْ عِطْرِ الشَّامِ أَتَى شَذَاهَا

وَأَهْدَاهَا الْعِرَاقُ شُمُوحَ نَخْلٍ

وَفِي صَنْعَاءَ تَحْسِبُهَا ذُرَاهَا

لَهَا فِي الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ خَلٌّ

يُهْدِيهَا وَيُهْدِيهَا جَنَاهَا

طَرَابِلُسِيَّةُ الْعَيْنِينَ تَسْبِي

كَحُورِ الْعَيْنِ خَالِقُهَا بَرَاهَا

وَتُونُسُ أُمُّهَا قَدْ آنَسَتْهَا

مَرَآكِشُ وَالْجَزَائِرُ خَالَتَاهَا

تَرَى مِصْرَ الْكِنَانَةِ كَحَلَّتْهَا

وَمَاءُ النَّيْلِ إِنْ رَمَدَتْ شَفَاهَا

وذا السودانُ أهداها شفاهاً
بِسْمِرتِهِ وَخَطَ لها لَمَها

تَوَحَّدُ أمةً في وِجنتيها
وتَجْتَمِعُ البُحورُ على حَلاها

فَوا أسفاً على حالِ تَردي
وأودي بالعروسِ ومبْتَغايا

فهاهي أمةُ الأعرابِ تاهت
وقد باتت تَسيرُ على هَواها

وعادت بَعْدَ وِحدتها شَظايا
أصابتها لِتُفَقَّأَ مَقَلتاها

تَمَرَّقُ ثوبها الدِيباجَ بَغياً
وتتَرُكها لِتَغْرَقَ في دِماها

فَلا ناعِ بِمَصرِعيها نَعاها
ولا راثِ بِذِكرِها رَثاها!

فِيَا لَيْتَ الْعُرُوبَةَ مَا تَشَطَّتْ
وَمَا اعْتَلَّتْ وَمَا زَلَّتْ خُطَاهَا

مَتَى سَيَضُمُّهَا عِلْمٌ وَحِيدٌ
يُوحِدُهَا وَيُخَفِّقُ فِي سَمَاهَا؟

تُبَاعِدُنَا وَتَقْلَعُ سِنَّ ضَادٍ
تُفَرِّقُنَا وَتَمَعِّنُ فِي أَسَاهَا

وَلَيْتَ النَّيْلَ يَجْرِي بِأَنْسِيَابٍ
وَيُرَوِّي الْأُمَّةَ الظَّمَاىَ مِيَاهَا

وَتَرْجِعُ لِلشَّامِ سُنُونَ عِزٍّ
لِتَنْطَلِقَ الْيَمَامَةَ فِي رُبَاهَا

وَتَنْفِكُ السَّبِيَّةَ بَعْدَ أُسْرٍ
فَلِسْطِينَ السَّلْبِيَّةَ مِنْ عِدَاهَا

وَيَنْثَالُ الْهَلَالَ يَزِيلُ عَتَمًا
وَيَحْتَضِنُ الصَّلِيبَ عَلَى ثَرَاهَا

وَيَصْدَحُ فَوْقَ أَقْصَاهَا أَذَانٌ
لِيَفْضَحَ فِي الْبَرَايَا مَنْ سَبَاهَا

أَلَا لَيْتَ الْعُرُوبَةَ مَا تَعَرَّتْ
وَعَرَّتْنَا وَمَا انْفَكَّتْ عُرَاهَا!

* * *

حينما تبدأ العينان القراءة، يرى هذه العروس، عروس
الشعر، خليجية، حجازية، مقدسية لبنانية شامية عراقية
يمنية مغربية من طرابلس الغرب تونسية مراكشية جزائرية
مصرية سودانية.

عطرها شامي أموي، وعزتها شموخ نخيل العراق
عباسي... تتساءل النفس: ما بال هذه الحسناء؟! إنها
سبية. وقد اكتنفها الظلام، واستشرف النفس أن ينثال الهلال
ليزيل ليلاً درجاً على مغانيبها، ليعود الأذان فوق القدس
السليب ويفضح فعل أولئك المجرمين الذين سلبوها سترها
فبان عريها.

استقراء كامل شامل واع طريقه، ومكتشف مهمته، في
استغراق اللحظة، والتدفق الشعري المتميز. والبيت الأخير
يصلح أن يطلق حكمة:

أَلَا لَيْتَ الْعُرُوبَةَ مَا تَعَرَّتْ وَعَرَّتْنَا وَمَا انْفَكَّتْ عُرَاهَا

هوى ليلي

على ليلاه من يهوى يغني

وليلي ليس يغيرها التغي

فليلي لا تهيم بغير قيس

وليلي ليس تدرك بالتمني

وليلي تلك مؤنسة الليالي

تسامرني فيدنو البدر مني

وليلي وحي إلهامي وفني

عشقت عيونها من صغر سني

أروم وصالها وأتية فيها

أسخر في هواها ألف جنني

لأسحرها فتلقيني صريعا

بسحر دلالها أترعت دنني

أعاتبها وهل تهوين غيري

تقول معذبي لا تظلمني

أَكَادُ أَجَنُّ مَن ذَاكَ التَّجَنِّي
فَقُلْتُ: فِدَاكَ عَرَشِي لَا تَجَنِّي

تَسِيءُ الظَّنَّ؟! قَالَتْ: قُلْتُ لَالَا!!
وَأَقْسَمُ إِنَّنِي مَا سَاءَ ظَنِّي

أَسْأَلُ كَيْ أطمئنَّ حِسَّ قَلْبِي
فَلَا تَقْسِي عَلَيَّ وَلَا تَضْنِي

فَإِنَّ هَوَاكَ يَسْرِي فِي عِرْوَقِي
لَأَنَّكَ نَبِضُ شَعْرِي فَاطْمَئِنِّي

كَمَا طِفْلِي أَتَى مِنْ لَبِّ صُلْبِي
وَلَيْسَ هَوَاكَ طِفْلِي بِالتَّبْنِي

لَأَنِّي عَاشِقٌ حَقًّا لِأَنِّي
أَتَى أَهْلَ الْهَوَى يَدْنُونَ مِنِّي

لِيَقْتَبِسُوا الصَّبَابَةَ مِنْ عَيْوَنِي
وَيُرَوِّوا سِيرَةَ الْعِشَاقِ عَنِّي

فقالَت لي أَحِبِّكَ يا مليكي

ومن يهوى بصدق لا يُثَنُّ !

هذه القصيدة شغلت الشعراء طويلاً ، والنقاد ومتذوقي

الحرف ، النحووي يقول :

(على ليلاه من يهوي يغني)

حق الفعل(يهوى) الجزم والفعل(يغني) كذلك لأنهما

فعالان مضارعان وقع الأول فعلاً لا سم الشرط جازم (مَنْ)

والثاني وقع جواباً لهذا الشرط الجازم فحق الرسم أن يكون

هكذا :

(على ليلاه من يهوى يغن) بعدم إشباع حركة الفتح في يهوى

ليلاً تنقلب الفتحة إلى ألف ، فالفتحة دليل الألف المحذوفة

فهي حرف علة جزم الفعل بحذفها ، وكذلك الياء في الفعل

(يغن) جزم الفعل بحذف الياء وبقيت الكسرة دليل الياء

المحذوفة ولا تشبع في النطق ، حتى لا يُظن أن الفعل مرفوع

أو انه غير مجزوم .

كما كثرت الآراء وأكثرها بلا تعليل ، وإنما هو نقد انطباعي

تأثري ساذج لا يقوم خطأ ولا يدل على صواب .

وأنا أسأل: من هذه ليلي؟. فيأتيني الجواب من القصيدة
نفسها:

وليلي وحي إلهامي وفني

عشقت عيونها من صغر سني

إذا فإن ليلي ليست إنسية، ولا يذهب الخيال

بالقارئ منصرفاً إلى الجن، وإن سخر في هواها ألف جني،
ليلي ما هي إلى من تكوين الشاعر نفسه، من تصوره الباطني
في تشكيل الحبيب الذي يعشقه، ما صفاته؟ الجواب عن هذا
التساؤل لدى الشاعر، فحبيبة الشاعر ليست من الأشباح، بل
من وحي الإلهام، ومن وحي الفن الذي درج عليه صغيراً،
وشب معه كبيراً.

ولعله في هذا الطرح تتقاطع الرؤى، وتتشابه مع شعراء آخرين
كهذا البيت:

حبيبتي من خيال الشعر جوهرها

وما رأى طيفها جن ولا بشر

أما مسألة الجن، وأن الشاعر استعان على هواها بهم
فهذه من موروثات الشعر العربية عبر التاريخ الأدبي،
فشاعر له رثي من الجن يلهمه ويلقنه، وهذا شيطانه أنثى،
وذاك شيطانه ذكر، وما إلى ذلك من هذه النزعات الغيبية

لتحقيق المراد. ولماذا يسخر الشاعر هذه القوة الغامضة في حبه؟
وهنا لن يتركنا الشاعر، ولم يتخل عنا، ولم يترك السؤال
حائراً على شفاه السائلين بل يأتي الجواب في القصيدة نفسها
(لأسحرها). وبعد قوة الألف من الجان ماذا تكون النتيجة؟ إن
جنياً واحداً قد حمل مدينة الطائف من دمشق وطار بها
ووضعها في الحجاز حسب إحدى الأساطير التي تقول: إن
الطائف مسروقة من الشام. فما بالك بألف جنني؟ وما بالك
بقوتهم. تقول القصيدة الرائعة، إن قوة سحر هذه الحبيبة قد
غلبت ألف الجنني، غدا الشاعر صريعاً، بعد قوة كل أولئك
الجان.

إن الذي أعطى نكهة الغزل الحي النابض بالحيوية والحياة
هو الحوار. والحوار من خصائص الأسلوب القصصي،
والأسلوب القصصي من خصائص الشعر الحي الخالد، خذ
من قصائد العذريين قصيدة (نعم) لسيد الشعر القصصي في
الإسلام الأول عمر بن أبي ربيعة ومطلعها:

أمن آل (نعم) أنت غاد فمبكر

غداة غد، أم رائح فمهجرجر؟

تجد فيها فناً قصصياً رسم للشعراء الغزليين منهجاً في باب
النسيب والغزل، سار على دربه الشعراء من بعده. وضاح اليمن
في حواراته مع أم البنين؛ قال وقالت...
وانتحل هذا الأسلوب الفرزدق في مغامرته الغرامية.
فكيف جاء الحوار في قصيدة (هوى ليلي؟).

أَعَاتَبُهَا وَهَل تَهْوِينِ غَيْرِي
تَقُولُ مَعْدَبِي لَا تَظْلِمَنِّي

أَكَادُ أَجَنُّ مِنْ ذَاكَ التَّجَنِّي
فَقُلْتُ: فِدَاكَ عَرْشِي لَا تَجَنِّي

تَسِيءُ الظَّنُّ؟! قَالَتْ: قُلْتُ لَالَا!!

وَأَقْسَمُ إِنَّنِي مَا سَاءَ ظَنِّي
(فداك عرشي) لا يقولها إلا صاحب عرش، إلا
ملك، والشاعر في نفسه ملك، تربع على عرش القوافي حسب
قوله، وسمى نفسه بهذا (ملك القوافي).

لَأَنْنِي عَاشِقٌ حَقًّا لِأَنْنِي
أَتَى أَهْلَ الْهَوَى يَدْنُونَ مِنِّي

ليقتبسوا الصبابة من عيوني

ويرووا سيرة العشاق عني

فقلت لي أحبك يا مليكي

ومن يهوى بصدق لا يُثن !

فالشاعر عاشق ، وقد جاءه العشاق يدنون منه ليقتبسوا

الصبابة منهم ، من روحه من عيونه ، وليرووا سيرة العشاق عنه .
أن هذا الكلام حظ مشترك بين شعراء الغزل ، فكل شاعر منهم
يظن انه سيد العشاق ، وفي مدينتي حماة الشاعر الطبيب
الدكتور ابن خالي وجيه البارودي يرحمه الله ، كان مدرسة في
الغزل ، وديوانه الآن بين يدي واسمه : سيد العشاق . هكذا ، مرة
واحدة . سيد العشاق . وقد كتب على غلاف الديوان الأمامي لا
الخلفي هذين البيتين :

يا أيها الحيران في دنيا الهوى

هيا استمع لتجاربي ونوادي

أنا سيد العشاق من قبل الشبا

ب ومن نعومة أنملي وأظافري

تتوارد خواطر العشاق أحياناً ، ويسميها النقاد : وقع

النعل على النعل ، أو وقع الخطى على الخطى ، كما رأينا

الآن شاعرنا محمود وابن خالي سيد العشاق .

يبقى أمر أنوه به وهو: هل أقول: إن هذه القصيدة قد شغلت الناس وأكثروا من الإعجاب بها، ثم أمضي دون تعليل؟ أجمل ما في هذه القصيدة حس الغزل وأدوات الغزل؛ الحرف المضيء، اللفظة المجنحة، شفافي الأسلوب فن القصص، والحوار.

الحوار في هذا النص يعوزه الانفساح والبعد النفسي والوجداني، فالحوار مقتضب، وهو حوار بسيط، فما دام أن ليلي من هواه، فإذا هي قدره، ولا محيد عنها، وهو بالنسبة إليها قدرها ولا محيد لها عنه، الشاعر وظف قوى غامضة ليصل إلى هذا المعنى، أو إلى طيف هذا المعنى، وكان حقه وهو ملك القوافي لا تعجزه إذا مد القصيد وقد عبد دربه وامتلك ناصيته أن يسلك هذا الدرب ويسير إلى اكتمال التجربة الشعورية ونضجها، مادام يملك القيمة التعبيرية، فلماذا اقتضب نسيج القصة الشعرية واكتفى بالحد الأدنى الموصل إلى القارئ، ربما يكون عقله الباطن قد أوحى له قائلاً: وصلت الرسالة.

وأنا بصفتي قارئاً مستمتعاً أقرأ للمتعة الفنية وقد

غمرتني، وأحسست بنشوة تشبه النرفانا لدى الهنود أقول:

نعم في هذه القصيدة قد وصلت الرسالة.